الصنف الرابع: الدعاة بلا أهداف

الهدف ضرورة لكل عامل، فهو حجر الزاوية لنجاح أيِّ عمل دنيوياً كان أوأخروياً، قال أحد الكتاب: (سر الوجود البشري ليس في البقاء حياً، بل في إيجاد ما يعيش لأجله). ولهذا فإن الأعمال التي تُنشأ بدونه تتصادم فيما بنيها، فتُشكِّل عقبة ليست على نفسها، بل على بقية الأعمال الأخرى ذات الأهداف، فيكتوي بنارها كلٌّ من في الساحة الدعوية.

والهدف حتى يكون مقدوراً على تحقيقه لا بد أن يكون في حدود الإمكانات، ويتم ذلك بطريقتين: الأولى: أن تضع أهدافاً صغيرة، ثم تسعى إلى تحقيقها واحدة تلو الآخرى، أوتضع هدفاً كبيراً لكنه قابل للتجزئة، فكلما حققت جزءاً منه اقتربت أكثر من آخره، ثم لا بد أن يكون مع وضع الهدف من تحديد الوسائل الموصلة إليه، وتوفير الإمكانات التي تتطلبها، والزمن الضروري لتنفيذهن فهدف الدعوة إلى الله كبير إذ يتمثل في إبلاغ الرسالة المحمدية إلى العالم كله هداية لمن كتب الله له الهداية، وإقامة للحجة على المعاندين (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل).

إن الدعاة الذين يعملون بلا هدف ليسوا في الحقيقة دعاة، وإنما سميناهم دعاة لأن شريحة كبيرة من المجتمع تحسبهم كذلك، والسبب في ذلك أنهم في وقت ظهور الدعوة وانتشارها يكونون في المقدمة يقومون بأعمال يعجز عنها كبار الدعاة لما يمتلكونه من طاقات هائلة، فيتسلمون زمام الأمور في كثير من أنشطة الدعوة، فلا ينازعهم في ذلك أحد، ففي كل يوم من أيام ظهور الدعوة، يسطع نجمهم بين أقرانهم في الساحة الدعوية.

حتى إذا تعرضت الدعوة للمحن، واصطدمت مع التيارات المعادية لها، فحصل لها بسبب ذلك تجميد لنشاطها العلني، وتَعرَّضَ بعضُ رموزها للقمع والمضايقة عندئذ يَظهرُ هذا الصنف على حقيقته، فتجده يتحول رأساً إلى الصفوف المعادية، ويعمل كعمله في الدعوة، أوأزيد، فيعادي ما كان يدافع عنه بالأمس القريب، ولا يرى حرجاً في تناقضه بين يومه وأمسه لأن لديه قناعة راسخة في أن المطلوب هو العمل لأنه هو الهدف بعينه عندهم، فإذا خرج هؤلاء الدعاة عن الساحة فلا معنى لديه أن يبقى أسيراً لأفكار تلك

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

الجماعة، وقد رفضتها النخبة المتنفذة في المجتمع، فيجب أن يعمل مع العاملين بصرف النظر عن مبدئهم وطبيعة عملهم.

ولا غرابة عليه في مثل هذا الطرح إذ لم يكن في الأصل يحمل رسالة ناهيك أن يمتلك رؤية، ومن كان حاله كما وُصف، فلا مفر من أن يتخبط في الحياة تخبط العشواء، فالأعمال بلا هدف كحركة الجسد بلا رأس، فهو في كل الأحوال إمِّعة يجري وراء كل ناعق، فينقاد للشعارات المزيفة التي تطلقها الأطراف، فيظنها حقائق، فيستميت في الدفاع عنها بكل قواه، فإذا فشل ذلك الطرف ذهب إلى غيره، ولو كان يتعاكس معهم في الاتجاه الآخر، فعمله اليوم ينقضه في غده، فهوكالمرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً، فهو عقبة ليس على نفسه فحسب بل على غيره قال الشاعر:

(متى يبلغ البينان يوما تمامه ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم).

وكم تتضرر الأمة بوجود هذا الصنف من الدعاة في الساحة، والمشكلة تكمن في إفساح المجال للجميع للمشاركة فيها، كلٌ على طريقته بصرف النظر عما قد يحدث بينها من التعارض أحياناً، والفوضوية في أحايين أخرى، وللقائمين على الدعوة وشؤونها نصيب من الإثم في ظهور هذا الصنف الارتجالي في ميادان الدعوة، فكل عمل لم يُوضع له هدف، و لم يسبقه تخطيط مُحكَم، فمآله إلى الفشل عاجلاً أو آجلاً.

وإذا أريد وضعُ حدٍّ لتصرفات هذا الصنف من الدعاة فلا بد من إيجاد جهة إشرافية تُخطِّط لهم بكل ما يقومون به حتى ينحصر نشاطهم في تنفيذ ما خُطِّط لهم، وبذلك يستفاد من طاقاتهم، ويتفادى من تخبطاتهم، ولو أن المعنيين بالدعوة وشؤونها يستثمرون الأخطاء التي وقعوا فيها من تمكينهم لمثل هؤلاء في لعمل الإسلامي من أجل استخلاص العبر والدروس كان ذلك إيجاباً يُقلِّل من عودتها مرة ثانية، ولكن الخطأ كل الخطأ أن يُستأنف العمل بعد الفشل على نفس الطريقة السابقة دون تعديل إصراراً من بعض قيادات العمل الإسلامي ممن لا يعترفون بأخطائهم فضلاً أن يتحملوا نتائجها.

بقلم الدكتور/ عمر إيمان ابوبكر

Created with nitroPDF professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional